

جامع احمد ابن طولون

[حديث أثنى في نادى النجادة في ليلة القدر]

للأستاذ أحمد رمزي بك

قصر مصر في سوريا ولبنان

أيها الحفل الكريم

أشكر لكم دعوتكم إياي ، وأقدر عواطفكم بحوى .
لقد اعتاد الناس والقراء أن يقدموا لأنفسهم بكلمة أولية
يجعلونها كمدخل إلى الموضوع الذى سيكون محل حديثهم
وسمهم ، وإني لا أملك نفسى دفع هذه المادة الطيبة المستملحة
بل سأخضع لها فأقول ، بأننى لم أستطع أن أختار موضوع
حديث الليلة حتى أول أمس . فقد كنت مأخوذاً بين عدة
واجبات وأمور لم يكن لى بد من أن تأخذ وقتى وتفكبرى
والآن وقد خلوت لنفسى أعود إليكم ، وقلبي مطمئن
من ناحيتكم لأنى واثق من أنكم ستولوننى الكثير من التسامح
فأنا إلا فرد منكم وأنتم أيها السادة إخوان بل رفقاء لى ،

فلا تنتظروا المعجز من الكلام ، ولا تطلبوا منى ما هو
فوق المتناول

فأنا إلا واحد من هذه الجماعة يريد أن يتحدث حديثاً
يفيدنى هذه الليلة المباركة الميمونة أعادها الله عليكم ، وقد تحققت
الآمال التى نصبو إليها جميعاً وأشرقت على العالم بأكله شمس يوم
الحرية والمدالة والديمقراطية الصحيحة

إننى مؤمن واثق بأن الأيام التى وعدنا بها وخطتها يد
المنية فى سجل القدر قد أصبحت حقيقة آتية لا ريب فيها ،
وحينما يأتى يوم النصر وتحقق آمال الشعوب الحرة سيهتف
جميعاً : الحمد لله الذى صدق وعده ...

موضوع حديث الليلة قد نأخذ كوضوع واحد مكون
من ثلاثة أشياء أو ثلاثة مواضيع تجمع بينها صلة الصلات .
أما الفكرة الأولى التى تسيطر على فهمى تاريخ مسجد من
مساجد الله هو مسجد أحمد بن طولون . فنحن فى مصر قد أولع
تاريخنا بإنشاء المساجد حتى أصبحت فى عاصمتنا تعد بالآلاف
وهى لنا تراث للفن العربى فى مختلف أدواره . ولقد أجهت منذ

مشاركتهم فى رفع المستوى السرحى والسينمائى المصرى ، هذا
المستوى الذى ينحط برواياته وشبهاته ويجعلنا نضحك الدنيا
وسخرية العالم ، فهل نزلوا إلى الميدان ؟

ولقد سمعت كذلك من أحد المتصلين بهؤلاء الشيوخ أن
الشاعر إنما ينبغي أن يكون غنائياً فحسب ، لأن كل نظم غير
غنائى هو نظم مصنوع فحسب ، وكل نظم مصنوع ، درامى أو
نظم ملاحم أو Ballad أو قصص أو Romance ، لا يمكن أن
يكون صادراً عن روح شاعرة تحسه وتنفعل به ... وهذه فى
رأى نظرة ضيقة أو حجة يراد بها الجدل الفارغ والدفاع الذى
لا يستقيم لصاحبه . وإلا فأين تذهب تلك الصور البارعة التى
تسلب الشاعر وتسحر القلوب من صور الإلياذة والأوديسة
والأنبياء والكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ... ؟ ثم أين
تذهب أشعار ناسو وأريوستو ودعى فيرجا وسرفنتس وراسين
وكورينى القصصية الرائعة ؟ ... أم أين تذهب المشاهد الساحرة
المحشودة فى همت والأمير جون وهطيل ومكبث والملاك لير

وروميو وجولييت وتاجر البندقية وفلورست وتيمورلنك وغيرها
وغیرها مما لا يكاد يستقصيه حصر ولا يقع تحت عدد ؟

كم كان بوى أن أعرك أذن الشاعر الشيخ الذى أرسل
هذا الهراء ، ثم أصرخ فيها بأعلى أصوات هومر وفرجيل
ودانتي وملتون وشيكسبير ومارلو وشعراء الطليان والأسبان
واليونان والألمان ، لكى يعلموا أن الشاعر الذى يبنى لنفسه
بقصيدة أو مقطوعة من بضعة أبيات أو من عشرين أو ثلاثين
بيتاً هو شاعر أنانى كسول ... أما الشاعر الذى يعد آلام
الناس من آلامه ومشاعره من مشاعره وقضايا قلوبهم هى قضايا
قلبه ، والدموع التى تنذر من مآقيهم كأنها تنذر من
مآقيه ... هذا الشاعر الذى يستجيب لأحزان الناس فيردها
قصة أو ملحمة أو درامة ، إنما هو الشاعر الحق الجدير بالبقاء ...
هذا الشاعر ... هو الذى أبحث عنه بين شعرائنا الشباب ، ولن
أفقد الأمل فى أن أعثر عليه بين شعرائنا الشيوخ .

(ينبع)

دمى خضبة

بين حزبي العرب والفرس قد أضعف الفريقين ، فكان أن ظهر عليها عنصر إسلامي جديد هو العنصر التركي ، وكان نفوذ العاصمة مضمعماً لتراعى الأطراف واتساع الملك . ولذلك أدخل نظام الأقطاع وتقاسم القواد والأمراء الولايات وكان عهداً تسوده المكائد والدسائس . وقد هبط المستوى الخلقى وماتت روح الكفاح والمقاومة أو انتقلت من المدن حيث بدأت تظهر عوامل الفوضى والفناء والانحلال إلى الثغور والحدود ، حيث الجهاد الدائم يدعو إلى التضحية والمقاومة وجمع الشمل والكلمة

في هذا العصر نبغ أبو العباس أحمد بن طولون وظهرت شخصيته الجبارة تدعها قوة من مكارم الأخلاق وشيم الرجولة ، وشدة ذكاء وفراصة ، أنف من حياة المدن حيث السقاسف والدسائس والحيل والخداع ؛ حيث توضع الولايات والأمصاير لتباع وتوزع على المحاسيب والأنصار ، واتجه إلى الثغور حيث الرباط والمدة والدعوة لله وحده . حفظ القرآن وسمع الحديث ، وفصح بالمرية فلك ناصيتها ، كتابة وخطابة ، فكان تركياً مستقرباً يجمع أحسن ما في العروبة من مزايا على أحسن ما لدى الترك من أخلاق . وإذا قدر للناس كشف دقائق التاريخ في القرن الثالث الهجري دراسة وتحليلاً ، أمكن الحكم أنه بعد وفاة المعتصم لم يعرف التاريخ العربي رجلاً فذاً يداني ابن طولون في قوة شكيمته ومداد رأيه ، ومضاء عزيمته ونفاذ بصيرته

ولقد بقيت شخصيته مجهولة ، حتى قبض الله الظروف فنشرت سيرة أحمد بن طولون لمؤرخ عاش في عصره هو أبو محمد عبد الله بن محمد البلدي ، وكشفت نواحي مجهولة عن حياته الحافلة بالجليل من الأعمال وعن صفاته ومزاياه وتفوقه . وستبعت هذه الحياة العظيمة الكثير من التنقيب في تاريخ مصر العربية ، وتخرج ألواناً من الكتابة في المباحث والتراجم ، لأنها حياة حافلة لرجل عبقرى منتج رج ملك الدولة العباسية رجاً ، وهز العالم العربي وأنشأ بذكائه ومقدرته على قيادة الرجال وقوة سيفه دولة وأمرة لها مكانتها ومزلتها .

حلت بهذه الديار إلى هذا النوع من الأبحاث فقلت لنفسي يوماً : لماذا لا يتجه الأدب لتجديد هذه الآثار وجمل الأحجار تنطلق فتعيد إلينا ذكريات الماضي

وأمامنا كتاب الفرنجة وقد عالجوا مثل هذه الأمور فن في عشاق الأدب الإنكليزي من لم يقرأ ما كتبه « راسكين » عن آثار البندقيّة ؟ إن مناداة الآثار قد حبيت الآثار إلى العالم الغربي وحبيت الشرق أيضاً لأهل الغرب

وما نحن إذا بقينا كما كنا ولم نبأ بشيء من الماضي ؟ ولماذا لا أكتب شيئاً يحجب إلى هذا الحفل الكريم زيارة القاهرة والتعرف إلى شيء من مساجدها وآثارها ؟ وهل هي ملك لمصر وحدها ؟ لا ، لقد اشتركنا جميعاً في إنشائها فهي لنا ولكم . وهي عنوان التراث العربي والتفوق العربي أمام العالم بأجمعه . لهذا كله قد فكرت أن أجعل حديث الليلة عن جامع ابن طولون ؛ وليس من السهل أن نكتب عن جامع ابن طولون بغير أن نذكر كلمة عن صاحبه . وهذه هي الوصلة الأولى والشق الأول من هذا الحديث

وإني لا أعرف تاريخاً قد ظلمته الأيام وغيّره النزعات وأهمله أهله مثل تاريخ مصر العربية ؛ ولا أعرف تاريخاً قديماً غنياً بمصادره ومؤلفاته كتاريخ مصر في طورها العربي الخالد . فإن ظلمت الأيام هذا التاريخ فقد ترك لنا أهله المطول من المراجع والكتب المطبوع منها والمخطوط

فا على أبناء هذا الجيل الواثب المتطلع نحو الملا والمجد إلا أن يقلب صفحاته ليتعرف إلى نفسه وليكشف عن قوته وهي قوة لو تعلمون عظيمة

• إن تعهد الوحي القوي يستدعي الاعتزاز والتمسك بالشخصية ؛ وإن الأمم التي تعرف شخصيتها وتمسك بها وتعتز ، هي التي تجعل العالم المتمدين يقر لها بالاحترام والبقاء

نظرة في تعريف أحمد بن طولون

في القرن الثالث الهجري ، كانت الدولة العباسية تسيطر على جزء من أقطار المعمورة . وكان عهد الخلفاء المجاهدين الذين يباشرون القتال بأنفسهم قد انتهى بوفاة المعتصم ، وكان النزاع